أسلوب البديع في القرآن الكريم (سورة آل عمران) إنموذجاً

أ.م.د.عباس كاظم امنسف

كلية أصول العلم الجامعة

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

تاريخ استلام البحث	تاريخ القبول
2026/3/1	2026/3/17

المستخلص :

يتناول البحث المعنون بـــــ (أسلوب البديع في القرآن الكريم سورة آل عمران أنموذجاً)، التعريف والتنظير لأهمية علم البديع كونه أحد الأنواع الأساسية المشكلة لعلم البلاغة بما يقوم عليه من معطيات وإشارات يمكن التطلع إليها في ســياق النص، ولا ســيما ما يظهر في بلاغة النص القرآني، كما ركز البحث على تناول لأنواع المحســنات المعنوية وكذلك الأخرى اللفظية، فلكل منها أنواع خاصــة تؤدي مؤداها في الإشــارة قبل كل شــيء إلى خاصــية الإعجاز القرآني ، تعكس عناصــر المحســنات المعنوية أهمية في تلقي الأثر الجمالي في إعجازية النص القرآني، ولتجليات المحســن المعنوي ما قد يكون عن طريق الطباق، إذ يســمى الطباق والتطابق والمشــتق من طبقَ، ففي اللغة أنَّ الطباق "الجمع بين الشيئين وفي القرآن سبع سماوات ، وقد يكون اجتماع المطابقة (الطباق) والمقابلة في ســياق واحد كما جاء في ســورة آل عمران في قوله تعالى {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَــاءُ بِغَيْرِ حِسَــابٍ} (سـورة آل عمران، الآية ٢٧) ، وقد كان التوجه خلال البحث إلى ربط كل توظيف للمحسن البديعي الوارد وتفسير معناها بما يعكس أولاً جمالية البديع من ناحية، والإشارة إلى خاصية الإعجاز القرآني من ناحية أخرى.

كلمات مفتاحية: المحسنات، اللفظية، المعنوية، الإعجاز.

The Rhetorical Devices in the Holy Quran (Surah Al Imran) as a Model

Assi Prof.Dr. Abbas Kadhim Amnasif

College of Fundamentals of Science

Department of Quranic Sciences and Islamic Education

Abstract

This research, titled "The Rhetorical Style (Badi') in the Holy Quran: A Study of Surah Al-Imran as a Model," explores and theorizes the significance of the science of Badi' (rhetorical embellishment), as it is a fundamental branch of rhetoric (Balagha). It is examined through the data and indications it provides within the context of the text, particularly as manifested in the eloquence of the Quranic text.

The research also focuses on examining types of semantic and phonetic embellishments (muhassinat), as each category contains specific types that serve their purpose by primarily indicating the characteristic of Quranic inimitability (i'jaz). Throughout the research, the approach was to link each instance of rhetorical embellishment to its interpretation, reflecting both the aesthetic aspect of Badi' and its role in pointing to Quranic inimitability.

Keywords: Rhetorical embellishments (Muhassinat), phonetic, semantic, inimitability (I'jaz.)

.

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين بحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين.

أما بعد يتناول هذا البحث التقديم المحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية في سورة آل عمران بما يظهر خصوصية النص القرآني ويثبت خاصية الإعجاز البلاغي من كل النواحي .

فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز المنزّل، لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله سوى الله تعالى، وكل تناول للأساليب البديعية فيه من الإشارة إلى الناحية الإعجازية والتي تساعد الفنون البديعية على تبيان ملامحها ووظائفها جمالياً في سياقها الوارد.

وقد كان التناول البحث لتجليات المحسنات البديعية (اللفظية منها والمعنوية)، من خلال التمهيد لمفهومها وأنواعها وبلاغتها والتقديم لعلاقة هذه الأساليب بناحية الإعجاز القرآني.

وتبقى دراسة علم البديع فيه من الأهمية التي تطالعنا بإطار النص ومناسبته والحكمة من توظيف الناحية البلاغية بما يفتح مجالاً واسعاً للتلقي من عدة وجهات لا تخرج عن تأكيد الأثر الواحد للأصل العقائدي الذي يفسره النص.

التمهيد: التعريف بعلم البديع

يلحظ المتأمل نقول إنَّ من يتأمل في البلاغة التي قام عليها النص القرآني، يجد أنَّ فنون البديع لا تقلُّ شأناً في إظهار روعة القرآن الكريم وسر فصاحته وبلاغته عن مسائل علمي المعاني والبيان، كما أنَّ ألوان البديع يستدل بها على إعجاز القرآن الكريم سواء كان ذلك عن طريق المحسنات اللفظية أو المعنوية، فلا يقصد من البديع التنميق فحسب، بل يمتد أثره الدلالي في النص.

والمدقق في السياق القرآني ، يلاحظ أن الأمثلة القرآنية المشتملة على ألوان البديع أكثر من أن يتّسع لها المقام ، فهي كثيرة ومبثوثة في أساليب القرآن الكريم وآياته، وكلها تشهد بأنَّ حسنها داخل في صميم البلاغة العربية ، ويدلُّ في الوقت نفسه على عظمة القرآن وإعجازه ، ولم يكتف القرآن الكريم بذكر الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، وإنما آثر الإتيان به في أبهى صورة من الحسن اللفظي والمعنوي.

فإنَّ المراد منه في السياق القرآني ما هو أبعد من تزيين الكلمات وبيان رونقها إلى كل ما يعكس الإعجاز القرآني، حيث كان التركيز على أنَّ علم البديع هو "علم يعرف بـ وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[1]

فالمنزلة التي احتلّها علم البديع في مجال الدراسات القرآنية والتعرّف على أسرار القرآن، ودلائل إعجازه، لا تقلّ شأناً عن منزلة أخويها من علمي المعاني والبيان ، فألوان البديع قد لا تحتاج إلى ما تحتاجه فنون البيان ، لأنَّ كل لون منها مستقل عن صاحبه.

فقد عكس الاهتمام في دراسة أوجه الإعجاز القرآني أهمية البديع ومنزلته "إذ تحتل هذه العلوم مكانة سامية ومرتبة رفيعة بين العلوم الإسلامية والعربية، فموضع هذه العلوم من علوم العربية أو العلوم الإسلامية موضع الرأس من الإنسان، فإذا غفل الإنسان علم البلاغة وأخلَّ بمعرفة قواعد ، لم يستطع أن يدرك سر إعجاز القرآن الكريم، فالبديع هو علم متمم لوسيلة المعرفة في الإعجاز القرآني. "فالبحوث البديعية تبدو متناثرة في كتب المفسّرين والمتكلمين والأدباء، الذين حرصوا على أن يبنوا إعجاز القرآن الكريم الذي جعله الله دليلاً على رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبرهاناً على صدق دعوته، جامعاً لفنون البلاغة، حاوياً لأطراف الفصاحة .."[2]

[1] التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، دار الفكر العربي، بيروت،1904، ص ٢٧٤.

[2] أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد النجار، مكتبة الشباب، ط١، د.ت، ص٧.

المعنى الذي يظهر لنا في أنَّ البديع لا يقلّ شـــأناً عن الألوان الأخرى البلاغية، فعندما أقبل المفســـرون لبيان الأوجه المختلفة لماهية الإعجاز القرآني، كانوا قد انطلقوا في ذلك من التناول لأصـــول البلاغة العربية، وفي ظل ذلك قد تمكنّوا من الإضـافة لعلوم البلاغة العربية في الوقت نفسـه، وشرحوا المزيد من القضـايا المتصـلة بالبلاغة على اختلاف مسمياتها، أي أن انطلاقهم في تفسير المُعطى الإعجازي للنص القرآني كان متمماً لسلسلة أعمالهم في حدود البلاغة العربية.

المبحث الأول: المحسنات المعنوية في سورة آل عمران

لقد شكّل مفهوم التحسـين البديعي المعنوي جانباً يسـيراً، انطلق منه الباحثون للدراسـة والتناول لما يوضـح الناحية الجمالية في تلقي النص القرآني، ذلك أنَّ المحسـنات المعنوية في اللغة فيها من التفسـير الدلالي لمعنى (معنوية) بأنَّ المعنوية في "عنى – يعني – عناية فهو معنوي، أي يقصد بشيء والياء إلى المعنى والتاء تاء تأنيث المؤنث" [3]

ومن جهة أخرى، فإنَّ المحسنات المعنوية يُقصد بها تحسين سياق التكلّم، إذ تزيد الكلام حسناً و رونقاً لما يكون عليه "والمحســـنات المعنوية هي التي يكون التحســـين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات" [4]، المعنى الذي يعزّز التأكيد على أنَّ المحســـن المعنوي بخلاف ما يكون عليه المحســـن اللفظي، لأنَّ تركيز الأول على المعنى في السياق الذي يرد فيه قبل أي شيء آخر.

كما يقتضـي فهم المحسنات المعنوية تفسير معنى التحسين من أنَّ "حسّن – يُحسّن – تحسيناً ، فهو محسن، أي زيّنه وجعله حسناً، والألف والتاء فيها دلالة على جمع المؤنث السالم... "[5]

وإذا كانت المحسنات البديعية هي من الوسائل التي يُستعان بها لإظهار قصد معين لخلق تأثيرها في النفس، فإنها في الجانب المعنوي تستهدف تحسين المعنى أساساً، وإن كانت تفيد تحسين اللفظ ، لأنَّ إرجاع التحسين أول ما يكون فيها في ناحية المعنى، ثم يتم بعد ذلك الالتفات إلى اللفظ، فتعمل حينئذٍ على تحســـين المعنى مع وضـــوح

[3] المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، د.ت، ص ٥٣٥..

[4] علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت،1993، ص ٣١٩.

[5] المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، ص ٧٢٦.

الدلالة المرجوة من الكلام، والخالية من الغموض المفرط المؤدي إلى التعقيد، "فالمعنوي هو عبارة عما يزيد المعنى حسناً" [6].

1-الطباق

تعكس عناصر المحسنات المعنوية أهمية في تلقي الأثر الجمالي في إعجازية النص القرآني، ولتجليات المحسن اللفظي ما قد يكون عن طريق الطباق، إذ يسمى الطباق والتطابق والمشتق من طبقَ، ففي اللغة أنَّ الطباق "الجمع بين الشيئين وفي القرآن سبع سماوات طباقاً"[7] .

وقد نُظر إلى الطباق كأحد أنواع المحسنات المعنوية على أنه المقصود به هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، "فقد أجمع الناس على أنَّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء ...مثل الجمع بين السواد والبياض والليل والنهار ..."[8]

حيث شاع فهم الطباق كمحسن معنوي مع فهم المقابلة وكلاهما يقودان إلى مفهوم تحسين المعنى، "فهناك كثير من البلاغيين يرون أنَّ المقابلة نوع من الطباق، وأنها داخلة فيه" [9]

وفي ظل ما يؤديه معنى الطباق كمعنى يقوم على إبراز فهم المقصود من التضاد الحاصل بين طرفي الصورة المتضادة، فإنَّ الطباق يُقسم بدوره إلى حقيقي ومجازي، وكل منهما إما أن يكون لفظياً أو معنوياً، ومن الطباق اللفظي ما يكون عن طريق السلب والإيجاب، "هو ما جاءت فيه إحدى الكلمتين منفية، والأخرى مثبتة، أو أحدهما منهي عنها والأخرى مأمور بها"[10]

وقد يكون الطباق من نوع طباق الحقيقة وهو "الطباق الحقيقي الذي يكون طرفاه بألفاظ الحقيقة اسمين أو فعلين أو حرفين مختلفين"[11] .

---

[6] عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان،1423، ٢/٢٢٥.

[7] نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،1423، ٧/٩٨.

[8] كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، المكتبة العنصرية – بيروت، 1419هـ، ص ٣١٦.

[9] أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف،1969 ٢/٣١.

[10] أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، ص ٩١.

[11] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، د.ت، ص ٢٧.

أما طباق المجاز وهو ما كان طرفاه أو أحدهما مجازاً" ، على اختلاف مسميات الطباق وتوظيفاتها ومصطلحاتها، فإنَّ الطباق هو من أهم المحسنات البديعية المعنوية، لأنه في الحقيقة يحقق هدف التحسين في اللفظ، كما يخدم هدف التحسين في المعنى، ومما يلفت إلى أهميته ما يقوم عليه في معنى (الضدية)، مما يلفت النظر إليه، وبذلك فإنَّ الطباق أساس جمالي مهم في جمال التتابع النصي، ومحور معنوي تدر حوله ظلال وايحاءات متعددة.

وقد يكون الطباق والمقابلة في سياق تحسين المعنى ما يُؤدى بدوره عن طريق الجمع بين أكثر من فكرة أو التفريق، فالتفريق هو أن "تقصد إلى شيئين من نوع، فتوقع بينهما تباينا"[12]

ومن مثاله {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[13] ، إذ يُسهم التفريق في ضرورة التنبّه إلى حالة المفارقة الحاصلة بين الأمور التي تجري فيها التفريق، ففي الحالة الأولى فيها من الإشارة إلى هؤلاء الذين اسودت وجوههم نتيجة لكفرهم بعد أن كانوا على عهد الإيمان، فلاقوا مصيرهم بالعذاب نتيجة لذلك، فإنَّ تصوّر هذه الحالة لا يتم ترسيخ معناه ما لم يتم اقترانه بالطرف الثاني المفارق له كما جاء في قوله تعالى يشير إلى أنهم من ابيضت وجوههم واستحقوا بذلك الرحمة من الله تعالى نظراً لما كانوا عليه من حسن المآل .

إذ يحضر الطباق كمحسن معنوي يفسّر حالة المفارقة بين من يبيضّ وجهه ومن يسوّد وجهه، لتأتي أسلوبية التفريق في توضيح المعنى المراد من حالة الطباق المؤسسة لهذا الفهم ، فيتم التفريق بعد عرض كل سبب ومؤداه الذي ينتهي بنتيجة مؤكدة وفق ما جاء مشاراً إليه في قوله تعالى، وكأن التفريق هنا قد أسهم في تغريز معنى تقسيم البشر إلى فئتين ستلاقي مصيرها في ذلك اليوم المشار إليه في نحو قوله تعالى، فالبشر قسمان إما من الذين تبيض وجوههم أو تسوّد خلاف ذلك.

يشكل (الطباق) أحد أنواع المحسنات المعنوية أهمية في الاستعمال لتحسين المعنى ولا سيما أنه يجمع بين معنيين متضادين، ومن مثاله بنوع طباق الإيجاب ما جاء في نحو قوله تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[14]

---

[12] مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1987، ص ٤٢٥.

[13] سورة آل عمران، الآية ١٠٦-١٠٧.

[14] سورة آل عمران، الآية ٢٦.

وقد يفيد الطباق في تجسـيد معنى المطابقة الحقيقية، ومن مثال هذا التوظيف ما جاء في قوله تعالى {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَـــاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[15] فكل لفظ طباقي يقابل لفظ آخر، بمعنى إنَّ المطابقة فيها مطابقة الضد بالضد، وفي تفسيرها ما يُعطي دلالة بأنَّ في قوله تعالى (وترزق من تشاء بغير حساب) والذي سبقه الطباق (الليل ، النهار، الحي، الميت) فيه من "دلالة على أنَّ من قدر على الأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حســاب من شــاء من عباده ، وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى ، فانظر إلى عظيم كلام الخالق هنا، فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس ومبالغة التكميل التي لا تليق بغير قدرته"[16]

وقد يكون طباق الإيجاب مفسّــراً لحقيقة إلهية تقوم على طرفي الطباق، ومثاله قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}[17] فالاتساع الدلالي يتضافر مع ماهية الطباق من أنَّ الآية الكريمة قد اشتملت على شيء وضده ، أي على اسمين (الأرض والسماء)، فحصل الطباق بين هذين الاسمين، ولعلَّ تفسير التسمية بأنه من نوع الطباق الإيجابي ، فإنه عائد إلى أنَّ الضــدين لم يختلفا فيه إيجاباً وســلباً، ومن ناحية الدلالة فإنَّ تفســير معنى الطباق يعود الى أنَّ "الله تعالى محيط علمه بالخلائق ، لا يُخفى عليه شــيء في الأرض ولا في السماء، قلَّ أو كَثُر"[18]

ومن أنواع الطباق ما يكون عن طريق طباق الســلب، ومن مثال توظيفه ما جاء في قوله تعالى {وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}[19] ، فقد اشتملت الآية الكريمة على شيء وضده، أي على فعلين (يضــلونكم)، (ما يضــلون)، بمعنى إنَّ الطباق هنا بين فعلين، وهو من طباق الســلب، لأنَّ فيه الضــدين يختلفان إيجاباً وسـلباً، ومن ناحية المعنى القائم على تفسـير مظاهر الطباق السـلب في قوله تعالى فإنَّ المقصــود من هذا التوظيف أنه قد "تمنّت جماعة من اليهود والنصــارى لو يضــلونكم – أيها المســلمون – عن الإسلام، وما يضلون إلا أنفسهم وأتباعهم، وما يدرون ذلك ولا يعلمونه"[20]

---

[15] سورة آل عمران، الآية ٢٧.

[16] خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر الحموي، ط١، القاهرة، 1304هـ، ص ٧١.

[17] سورة آل عمران، الآية ٥.

[18] التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2009، ص ٥٠.

[19] سورة آل عمران، الآية ٦٩.

[20] التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص ٥٨.

وقد يكون طباق السلب في إيراد فكرة المقارنة بين حالين أو أمرين ، ومن مثاله ما جاء في قوله تعالى {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[21]

إنَّ أول ما يُلاحظ على توظيف الطباق أنَّ الطرف الأول فيه من الإثبات وعدم الإنكار (إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) بمعنى إنَّ عملية تأدية الأمانة متحققة عند الطرف الأول، ليتم المقارنة مع فئة أخرى (من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك)، بمعنى إنَّ طباق السلب يُسهم كما نلاحظ في خلق التفاوت بين صفتين إحداهما خلاف الأخرى وبعيدة عنها كل البعد لا تناسب ولا تقرب إليها في شيء.

2-المقابلة:

تعد المقابلة من أنواع المعاني وأجناسها، وهو أن يسعى المتكلم إلى معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة ..."[22]

ومعنى المقابلة هو "أن يجمع بين شيئين متوافقين بين ضدّيهما ثم إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشرط ضديهما ذلك الشرط"[23]

وقد يكون اجتماع المطابقة (الطباق) والمقابلة في سياق واحد كما جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[24] ، فالجمل الحاضرة طباقية وفيها مقابلة واضحة، كل طرف يقابل الطرف الآخر كما نلاحظ.

ومن أوجه البلاغة في السياق البديعي المعنوي ما يلفت إلى أهمية مراعاة مقتضى الحال، ولا سيما ما نجسده في خطاب النص القرآني، والذي قد يكون من خلال بلاغة الإطباق، ومن مثاله ما جاء في نحو قوله تعالى في سورة طباقية بلاغية { لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}[25]

---

[21] سورة آل عمران، الآية ٧٥.

[22] نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، ط١، القاهرة،1963، ص ١٥٢.

[23] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، دار صادر، بيروت، 2004، ص ١١١.

[24] سورة آل عمران، الآية ٢٧.

[25] سورة آل عمران، الآية ٢٨.

فالبلاغة في اجتماع الضـــدين بشـــكل متتال يســـتدعي الانتباه لفهم الفكرة الكامنة وراء هذا التوظيف (المؤمنون، الكافرون)، وفي ذلك إشارة واضحة في التنبيه إلى أنَّ الله تعالى "نهى المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، ومن يتولهم فقد برئ من الله والله بريء منه"[26]

وقد يكون بلاغة المحسن المعنوي ما يستدعي الربط بين السابق في الخطاب النصي وما يتم تفسيره عن طريق هذا المحسن، ومنه ما جاء عن طريق الطباق في الربط بين أجزاء الكلام نحو قوله تعالى {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ }[27] .

إنَّ بلاغة المطابقة تســتدعي الربط بين مناســبة النص في الإشــارة إلى رحمة الله على المؤمنين من خلال إنزال الرحمة في قلوبهم ، إلا أنَّ طائفة منهم قد ضَعُفت عزيمتها وظنوا أنَّ الله لا يتم أمر رسوله، "وما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والنفاق، وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأموال والأفعال.. "[28]

إذ يعكس النص الســـابق توظيف طباق الإيجاب، وهو المقابلة المعنوية القائمة على كمال القدرة ، لذلك يُســـمَّى بالطباق الحقيقي، فالطباق واضح في سلسلة الأفعال الواردة على التتالي (توتي ، تنزع) ، (تعز ، تذل)، والبلاغة في هذا التنظيف للطباق أنَّ الامر واحد في أنَّ الله عز جلاله قد أراد من خلال هذا الإيراد للأفعال المتناسقة أن يجمع بين الأمر و نقيضه دون أن يوجد ما يدعو إلى عدم الفهم من المراد، بل إنَّ الطباق يعكس سياقياً التناسق الموسيقي والذي له تأثيره الخاص على المتلقي .

3-ائتلاف اللفظ مع المعنى:

يشكل التناول لمفهوم ائتلاف اللفظ والمعنى أهمية في عكس معنى التحسين البديعي من ناحية الاعتناء بالمعنى المراد، وقد فسر استخدام هذا النوع من المحسنات في تزيين المعنى وتماسك السياق الداخل في تشكيله.

يُعدُّ هذا الأسلوب البديعي من المحسنات البديعية المعنوية ، إذ يُقصد به "الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة، ولهذا سُمي بـ (التناسب)، أو إيراد لفظ بينهما وبين الكلام ائتلاف، ولذا سُمي بائتلاف اللفظ مع اللفظ أو الائتلاف

---

[26] التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص ٥٣.

[27] سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

[28] التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص ٧٠.

أو التوافق لا بالتضاد، وقد ألحق به أهل البلاغة أسلوب تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى"[29].

ومن أوجه البلاغة في السياق البديعي المعنوي ما يلفت إلى أهمية مراعاة مقتضى الحال، ولا سيما ما نجسده في خطاب النص القرآني، والذي قد يكون من خلال بلاغة ائتلاف اللفظ مع المعنى، ومن مثاله ما جاء في نحو قوله تعالى في صورة بلاغية { لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}[30].

فالبلاغة في اجتماع الضدين بشكل متتال يستدعي الانتباه لفهم الفكرة الكامنة وراء هذا التوظيف (المؤمنون، الكافرون)، مما يشكل توافق اللفظ مع المعنى المراد في السياق النصي، وفي ذلك إشارة واضحة في التنبيه إلى أنَّ الله تعالى "نهى المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، ومن يتولهم فقد برئ من الله والله بريء منه"[31].

وقد يُساعد توظيف البديع المعنوي في تثبيت فكرة معينة والعدول عن أخرى يمكن أن ترد في الذهن، فيأتي توافق اللفظ مع المعنى مفسراً للثابت الذي لا يُشك به، ومثال هذا التفسير ما جاء في نحو قوله تعالى {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}[32]، فالطباق الحاصل (الكفر، مسلمون) ما يفيد في تفسير الفكرة القائمة لاستحالة الأمر باتخاذ الملائكة والنبيين من دون الله للعبادة ، ذلك أنَّ فعل ذلك فيه من العدول عن ماهية الإسلام إلى الكفر، أي الانقلاب الأحوال في العبادة من غير الله ، فهذا غير جائز، لذلك فإنَّ بلاغة التصوير الخطابي يساعد على تفسير الصورة البديعية ومجالها الوظيفي كما نلاحظ.

وقد يكون التوظيف التحسيني المعنوي (تجاهل العارف) بقصد التشويق في إشارة للمخاطب من قبل المتكلم وذلك بقصد منه للتشويق وإثارة الترغيب والذي هو من أكثر الطرق تأثيراً في المخاطب فالغاية البلاغية وراء توظيف (تجاهل العارف) لا تقف عند حدود التسمية فقط، بل إنها تخرج لأغراض بلاغية يُحددها السياق الذي ترد فيه كالنفي أيضاً الذي يخلق في ذهن المخاطب، نفي بديهي، وكثيرة هي الأمثلة في النص القرآني التي تعكس ماهية

---

[29] الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، د.ت، ص ١٩٧.

[30] سورة آل عمران، الآية ٢٨.

[31] التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص ٥٣.

[32] سورة آل عمران، الآية ٨٠.

اتباع الأوامر وكسب الرضا الإلهي، ومثاله قوله تعالى {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[33]

ولعلَّ بلاغة النص السابق ما يلفت فيها خلال التحسين المعنوي إلى أنَّ نفي التساوي حاصل بين من يسير في مسار يعكس رضا الله تعالى ونفيه عن كل من شمله الغضب، فكان بذلك من أصحاب النار.

ومن أوجه البلاغة في السياق البديعي المعنوي ما يلفت إلى أهمية مراعاة مقتضى الحال، ولا سيما ما نجسده في خطاب النص القرآني، والذي قد يكون من خلال بلاغة الإطباق، ومن مثاله ما جاء في نحو قوله تعالى في صورة طباقية بلاغية { لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [34]

فالبلاغة في اجتماع الضدين بشكل متتال يستدعي الانتباه لفهم الفكرة الكامنة وراء هذا التوظيف (المؤمنون، الكافرون)، وفي ذلك إشارة واضحة في التنبيه إلى أنَّ الله تعالى "نهى المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، ومن يتولهم فقد برئ من الله والله بريء منه" [35]

ومن بلاغة المحسن البديعي المعنوي ما يكون عن طريق ما يُسمَّى باللف والنشر الذي يُدلي بأهمية المقابلة بين أطراف الجمل، واللف نقيض النشر، يدلُّ معناهما على الجمع والتفريق، "الطي والنثر هو أن تذكر شيئين فصاعداً إما تفصيلاً فتنص كل واحد منهما، وإما إجمالاً فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض إلى العقل، و كل واحد إلى ما يليق به، لأنك لا تحتاج إلى أن تنصّ على ذلك"[36]

ومن بلاغة اللف والنشر ما نلاحظه في النشر الذي يأتي على غير ترتيب اللف، ومثاله ما جاء في قوله تعالى {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[37] فالموازاة هي التي تثير الناحية البلاغية، فالعنصر الأول من اللف يوازي ما جاء في العنصر الثاني من النشر، والعنصر الثاني من اللف يوازي ويوافق العنصر الأول من النشر مع ملاحظة التقابل الدلالي بين الطرفين، فعناصر اللف (يوم تبيض وجوه ، يوم تسود وجوه)، وعناصر النشر (فأمّا الذين اسودت وجوههم) ، (وأما الذين ابيضت وجوههم)، وقد فسّر اللف في قوله تعالى "بدأ بهم – أي بالذين اسوّدت وجوههم لأنَّ النشر المشوش أفصح، ولأنَّ المقام للترتيب وزيادة النكاية لأهله"[38] ، فقد

---

[33] سورة آل عمران، الآية162.
[34] سورة آل عمران،/ الاية28.
[35] التفسير الميسر،ص162.
[36] خزانة الأدب، الحموي،1/149.
[37] سورة آل عمران/،الآيتان106-107.
[38] نظم الدرر في مناسبة الآيات والصور، البقاعي،القاهرة،د.ت،5/22.

قُدّم البياض على السواد، وجاء النشر على غير ترتيب اللف (اسودّت وجوههم) فصار النشر على عكس ترتيب اللف، لأنَّ سياق المعنى القرآني استدعى هذا التغيير.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية في سورة آل عمران

يعود فهم المحسنات اللفظية إلى أنَّ البلاغيين قد قسّموا المحسنات البديعية، حيث إنَّ حزب منها يعود إلى المعنى، وهو المحسنات المعنوية، وضرب آخر يعود الى اللفظ وهو المحسنات اللفظية، حيث تأخذ المحسنات اللفظية بنظرها الاعتبار لألفاظ التي بسبب وجودها في الكلام نمطاً بديعياً معيناً، فإذا استُبدلت الألفاظ بغيرها اختفى النمط البديعي، وقد تمَّ النظر إلى المحسنات اللفظية أنها "ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى ، فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ"[39].

ومن وجهة أخرى فإنَّ المحسنات اللفظية تقوم على كل ما يرتقي باللفظ و يميّزه في حضوره السياقي، "فإنَّ معنى المحسنات اللفظية ما يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحياناً تبعاً"[40].

والمحسنات اللفظية أكثر ما تكون في أنها "ما كان راجعاً الى تحسين الكلام"[41]، حيث شكّلت المحسنات اللفظية أحد أطراف البلاغة ، فالبلاغة باعتبارها علماً من علوم اللغة ، ترتقي بالكلام ، حيث يبحث العلم البديع في طرق تحسين الكلام، وتجميل الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، وسُمي بديعاً لأنه لم يكن معروفاً، فبدون قواعد البديع لما كان للكلام حسنه وتزيينه، بمعنى إنَّ المحسنات اللفظية هي ما يشتمل عليه الكلام من أصناف الجمال اللفظي، وهي ضرب يرجع تحديده إلى اللفظ ، وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين المعنى.

1- الجناس:

يعكس معنى الجناس في اللغة "مصدر جَانس: شاكله واتحد معه في الجنس، ويُسمَّى أيضاً التجنيسية والمجانسة والتجانس لأنَّ كلها ألفاظ مشتقة من الجنس"[42]، وكثيراً ما يحضر معنى الجناس في أنه قائم على "اتفاق الكلمتين في كل الحروف أو أكثرها مع اختلافهما في المعنى"[43].

---

[39] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص ٢٢٨.

[40] علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، مصطفى المراغي، ص ٣١٠.

[41] بديع التخليص وتخليص البديع، طاهر بن صالح جزائري، مطبعة سورية، د.ت، ص ٢.

[42] المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٠٥.

[43] المعجم الوسيط، أنيس إبراهيم، دار القلم، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٤.

ونظراً للاتســاع المعرفي القائم حول الجناس، فقد عُرّف أيضــاً بأنه هو "الإتيان بمتماثلين في الحروف أو أكثرهما أو في بعضــهما أو في الصــورة، أو زيادة في أحدهما، أو بمتخالفين في الترتيب أو الحركات، أو بمماثل يرادف معناه مماثلاً آخر نظماً"[44].

و من مثال الجناس المضــارع ما جاء في ســورة آل عمران في قوله تعالى { فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْــلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}[45].

حيث يتضــــمن الجناس (فقل، وقل)، ما يدلُّ على أنه من النوع المضــــارع، لأنَّ اللفظين قد اختلفا فيه في نوع الحرف وكان متقاربين في المخرج في اللفظ (فقل، قل)، حيث اختلفا في حرف الأول وهو بين حرف فاء، وحرف واو، وكان مخرجهما في الشــفتين كما نلاحظ، فإنَّ هذا التتبع لمعنى الجناس كما يتضــح لنا يضــعنا أمام عدة تصورات جمالية ومنها ما يكون في أكثره في التنويه لأثر الإيقاعي التناغمي الذي يتركه أثر الجناس.

ومن أنواع الجناس الواردة ما نجده في صــورة الجناس المحرّف وهو من النوع الناقص أيضــاً، ومن مثاله ما جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى { قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَــبِّحْ بِالْعَشِــيِّ وَالْإِبْكَارِ}[46]، حيث يعكس لنا الجناس بين اللفظين (ألّا) و (إلّا) الجناس المحرّف، وهو ما كان فيه اتفاق اللفظين في عدد الحروف وترتيبها، وما اختلف من الحركات فقط.

ومن الجناس الناقص المردوف ما جاء في ســورة آل عمران في قوله تعالى { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَــى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[47]، حيث تضمّن الجناس في اللفظين (أنصــاري، أنصــار)، وهو ما يمثّل الجناس الناقص المردوف، فالاختلاف اختلاف في العدد (أنصــاري، أنصــار) وهو حرف الياء في الأول ، فاللفظ الأول في الملكية التي تؤكدها حضــور ياء المتكلم في حديث ســيدنا عيسى عليه السلام، وفي الثاني يُنسب إلى جماعة المتكلمين (نحنُ أنصــار الله) ، وهذا ضــروري لتفسير الفهم الحاصل حول قضية الحوار الذي جاء في نسبته كما يظهر لنا في سياق الآية الكريمة.

2- الموازنة:

---

[44] فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٠.

[45] سورة آل عمران، الآية ٢٠.

[46] سورة آل عمران، الآية ٤١.

[47] سورة آل عمران، الآية ٥٢.

من تجليات الموازنة في سورة آل عمران بأنها هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية ، وعدم تساويهما في التقفية هو اختلافهما في الحرف الأخير منهما.

ومثاله {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[48]، فقد عكس الأسلوب عبر خاصية الموازنة توازن العبارات المفسرة للحكمة الإلهية.

ومنه {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[49]، فالتوازن بين المقاطع النصية الواردة يكسب النص تزييناً وتحسيناً جميلاً عبر التناسب بين الفواصل القرآنية.

ومن مثال الموازنة ما جاء في نحو قوله تعالى {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[50]، فالنص القرآني الوارد يعكس خاصية الموازنة أو التوازي بين العبارة والأخرى.

ومن جمالية التوظيف للموازنة ما جاء في نحو قوله تعالى {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[51].

3- السجع:

يُشكّل السجع أهمية بارزة باعتباره أحد المحسنات اللفظية البارزة، ولحضوره الواسع في النص القرآني، فالسجع في اللغة هو "الصوت المتوازن، وفي الكلام هو الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع، وقد سَجَع الرجل سَجعاً وسَجّعَ تسجيعاً، وكلامٌ مُسَجّع، وبينهم أُسجوعةٌ، وسَجَعَتِ الحمامةُ، أي هدرت"[52].

---

[48] سورة آل عمران، الآية ٢٦.

[49] سورة آل عمران، الآية ٧٣.

[50] سورة آل عمران، الآية ٢٧.

[51] سورة آل عمران، الآية ١٠٦-١٠٧.

[52] الصحاح، الجوهري، تحقيق : أحمد عبد عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٣٥.

وقد جاء تعريفه في الاصطلاح أنه هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد، "هو اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير"[53]، وإذا كان النظر إلى السجع على أنه "ما توافق فيه من الفاصلتين في الحرف الأخير، فإنَّ أفضله ما تساوت فقره"[54].

ومن أنواع السجع ما نجده في السجع المطرّف وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزناً واتفقت روياً، ومن مثاله ما جاء في سورة آل عمران { الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ }[55]، فالسجع المطرّف بين اللفظتين (النار، الأسحار) إذ شكّل كل لفظ فاصلة كل آية، بما لا يوجد علاقة معنوية واحدة بين اللفظين ، إلا ما يؤكد بيان الإعجاز على التعبير القرآني الوارد، حيث إنَّ الكلمتين متحدتان في الحرف الاخير ومختلفتان في الوزن الصرفي (الراء) .

كما يحضر السجع من النوع المتوازي في النص القرآني، حيث يتجسّد السجع المتوازي في أن تكون الكلمتان الأخيرتان من السجعتين متفقتين في الوزن وفي الحرف الأخير منهما ، مع وجود اختلاف ما قبلهما في الأمرين أو أحدهما، إذ عُدت هذه الخاصية من الخصائص التي ميزت النص القرآني في إعجازه وبيان، و من مثاله ما جاء في سورة آل عمران { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}[56]، فالتوازي السجعي الحاصل بين (تشهدون، تعلمون) من خلال اتفاقهما في الوزن وحرف الأخير ما يستدعي الوقوف عند حالة الإعجاز التي يتركها ذكر المحسنات اللفظية في سياقها.

4- رد إعجاز الكلام على الصدر:

يعود مفهوم رد العجز على الصدر في اللغة إلى أن الصدر في اللغة أول الشيء، والعجز آخره، وهو أحد الفنون البلاغية الذي يأتي في جميع أنواع الكلام ، حيث إنَّ له أكثر من مجال، "فاللفظان المكرران هما المتفقان في اللفظ والمعنى ، والمتجانسان هما المتشابهان في اللفظ من دون المعنى"[57].

ومنه {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[58]، فتكرار الألفاظ يعكس ورود كل لفظ بما يعطي خاصية رد العجز على الصدر.

---

[53] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، ص ١٩٧.

[54] جوهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص ٢٦٧.

[55] سورة آل عمران، الآية ١٦-١٧.

[56] سورة آل عمران، الآية ٧١.

[57] بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، 2005، ص ٢٦١.

[58] سورة آل عمران، الآية ٢٧.

وكذلك قوله تعالى { يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَـــيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ }[59].

ومن بلاغة رد العجز على الصدر ما جاء في قوله تعالى، ومثاله ما جاء في قوله تعالى {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْـوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّـتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[60]، فكل لفظ يشـير إلى البلاغة التي يعطيها توظيف المحسـن البديعي بما يعطي تناغماً وتناسقاً واضحاً.

خاتمة ونتائج:

- إن التناول للأنواع البديعية ســـواء أكانت عن طريق المحســـنات اللفظية أو المعنوية ما يعكس اهمية الأسلوب البديعي كعلم لا يقل أهمية عن علوم البيان والمعاني.
- يعكس التناول والدراســة لعناصــر علم البديع في ســورة آل عمران خاصــية الإعجاز القرآني لا ســيما أن الكلام والتناسق الذي نجده في النص القرآني يستحال أن يؤتى مثاله، لخاصيته الإعجازية.
- لقد تعددت الأنواع البديعية في سورة آل عمران ما يفتح المجال واسعاً للوقوع على جمالية التشكيل اللفظي إلى جانب تضافر المعنى مع اللفظ.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1. أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد النجار، مكتبة الشـــباب، ط١، د.ت.
2. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصـــوم، تحقيق: شـــاكر هادي شـــكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف،1969.
3. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، د.ت.
4. بديع التخليص وتخليص البديع، طاهر بن صالح جزائري، مطبعة سورية، د.ت.
5. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، 2005.

[59] سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

[60] سورة آل عمران، الآية ١٠٦-١٠٧.

6. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2009.
7. التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، دار الفكر العربي، بيروت،1904.
8. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
9. خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر الحموي، ط١، القاهرة، 1304هـ.
10. الصحاح، الجوهري، تحقيق : أحمد عبد عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨٥.
11. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان،1423.
12. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت،1993.
13. فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤.
14. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، المكتبة العنصرية – بيروت، 1419هـ.
15. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، د.ت.
16. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، ط٢، بيروت، لبنان،1984.
17. المعجم الوسيط، أنيس إبراهيم، دار القلم، ط١، بيروت، ١٩٦٨.
18. مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1987.
19. المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، د.ت.
20. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
21. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،1423.
22. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، دار صادر، بيروت، 2004.